على ضوء جولة سمو ولي العهد الأخيرة

أهل الخليج.. الخصوصية.. والحميمية

هناك بعض الأمور التي تبدو بسيطة وأقرب للعفوية عندما يلاحظها المتابع دون تأمل وتعمق.. لكن قد تكون هذه الأمور هي ما يميز قوماً عن غيرهم.. في تعاملهم وتراحمهم، وما يربط بينهم من وشائج وصلات..

وفي كل ملتقى خليجي جماعياً كان أو فردياً، سواء كان على مستوى القيادات، أو على أي مستوى من المسؤولين أو حتى الأفراد العاديين من أهل الخليج.. يلاحظ هذا المتابع أو ذاك أشياء مثل تلك الأمور، هي في حقيقتها أحد جوانب التعبير عن خصوصية في التعامل، وحميمية صادقة وعفوية في التحية وفي العلاقات البروتوكولية.. الأمر الذي يشعرك بأن هؤلاء القوم يفهم بعضهم بعضاً حق الفهم.. ويعيشون في مناخ اجتماعي وأسري واحد.. ويؤمنون بتقاليد راسخة من التعامل والتفاهم، وهذه العفوية والحميمية مصحوبة بتقدير واحترام لا مثيل له لبعضهم البعض.. فهم نسيج واحد من التفكير والتطبيق والتصور.

أهل الخليج.. ليسوا كغيرهم.. فعندما يريد المحلل أن يدرس واقعهم، فلا ينبغي له أن يكتفي بالدراسات والمقدمات المنطقية.. فهناك روابط موضوعية كبرى تربط بين الأمم والشعوب والدول، هناك المصالح والمبادئ، والجوار، واللغة، والاتفاقيات، وهناك الكثير من الروابط التقليدية الموضوعية التي يكفي بعضها لخلق التعاون والتوحد.. ولكن أهل الخليج تجمعهم هذه كلها وزيادة.. وهذه الزيادة هي الأهم.

لكن هناك ما يضاف من الروابط والاعتبارات.. وهي ما نعني بها الخصوصية والحميمية.. هناك الروابط الوجدانية الحقيقية.. هناك الإحساس بالقربى والأهلية (من الأهل) هناك البيئة الواحدة.. وما يتبعها من اللسان اللهجي الواحد والتقاليد الواحدة.. والتداخل القوي بين الأسر..

إن أهل الخليج حاكميهم ومحكوميهم.. أسر مترابطة متداخلة.. الكل يعرف الآخر.. فصلا وأصلاً.. وهم يدركون أن نسيجهم المتوحد هذا هو السياج الأقوى بعد توفيق الله من أي هزات يمكن أن تحدث.

ويدركون قبل غيرهم أنهم يصنفون دائماً.. قوةً واحدةً.. وشعباً واحداً.. وأن ما بينهم يفوق أية علاقة بين أي منهم

والآخرين، مهما بدت الظواهر عكس ذلك.

لذلك يخطئ الكثير من غير أهل الخليج.. من الغرب والشرق.. بل حتى من العرب، عندما يطبقون ما يحدث في جهات أخرى على أهل الخليج.. فمثلاً نجدهم يفسرون بعض الخلافات.. وبعض الأزمات الطبيعية بناء على خلفياتهم في القانون الدولي.. وفي العلاقات الدولية.. والمصالح

وهكذا.. ولايتجاوز تفكيرهم ما لدى أهل الخليج من منطلقات واعتبارات غير مرئية، هي الأقوى والأكثر فاعلية.. فلقاء واحدٌ، أو اجتماع بين أي منهم.. يستطيع أن يزيل أي شيء.. لأنهم يملكون من الأرضية، ما يجعلهم يتسامون فوق كل وجهة نظر شخصية، ويتفقون على أن رعاية مصالح أوطانهم ومجتمعاتهم وشعوبهم، وفق اعتبارات لايدركها إلا هم وشعوبهم، هي فوق كل اعتبار وطموح.

في جولة سمو ولي العهد الأخيرة بعد حضوره الاجتماع التشاوري في مسقط لقمة مجلس التعاون نائباً عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، التي شملت الإمارات وقطر، لايملك المتابع والمحلل إلا أن يلاحظ ذلك النفس العربي الخليجي في مفردات العلاقة بين أهل الخليج.. إن رجل الشارع من أهل الخليج.. صغيرهم وكبيرهم.. يفهمون ما يحدث.. وهو أمر طبيعي بالنسبة لهم.. لأنه هو وهو في أي ركن من أركان الخليج، يتمثله لحظة بلحظة.. فهو يفهم حتى حركات السلام عند اللقاء والوداع.. ويفهم طريقة الحديث.. وطريقة الجلوس.. واسلوب وترتيب الحاضرين.. يفهم كيف يعامل الصغير الكبير.. والعكس أيضاً.. وكيف يعامل الضيف المضيف.. لأن هذا الفرد من أي مكان كان من أرض أهل الخليج.. هو نتاج هذا النسيج المتوحد.. الذي يمتلك الخصوصية والحميمية.

نعم.. هذه الخصوصية.. والحميمية هي ما تميز الخليجيين عن غيرهم.

فهم قد يبدون بسطاء عفويين لايملكون فن المجادلة السياسية، ولايتقنون لعبة شد الحبال المتناقضة في الكلام.. ولا يقدرون على صنع الالتفاف.. وتشكيل المحاور.. وقد لاتجد لديهم الطموحات السياسية والبحث عن النجومية..

قد يكون بعضهم لم يسمع بأي منظّر سياسي أو فيلسوف استراتيجي مشهور.. قد يكون غيرهم أكثر قدرة على توليد الأفكار.. والخطط.. وعلى الإبهار وكسب الإعجاب..

لكنهم يتّسمون دائماً.. بالوضوح والصدق.. والواقعية.. ويكفيهم قناعتهم بأن لايعلو ضجيجُ الأصوات والاعلام أفعالهم وأعمالهم، وأن يكون همهم الأول مصلحة شعوبهم وأوطانهم، ثم قادتهم بأنهم لم يصنعوا من أنفسهم أوهاماً ونجوماً.. وألا يدّعوا بطولات على حساب شعوبهم ومستقبل أجيالهم..

• أهل الخليج، لم يصنعوا من أنفسهم أوهاماً ونجوماً، ولم يدّعوا بطولات على حساب شعوبهم ومستقبل أجيالهم.

وبعد كل ذلك.. يدهش البعض ويتساءلون: لماذا نجح مجلس التعاون في الوقت الذي أخفقت فيه كل محاولات التجمع والتعاون؟!

إن الجواب بسيط، وسهل، لأن ما يربط بين أهل الخليج ليس المقومات الموضوعية فقط لأي تجمع.. ولكن أشياء أوسع.. وأكثر عمقاً.. وصدقاً.. وضماناً.. بل إن هذه الأشياء تحتم التعاون والتجمع.. وتجعل من هذا النسيج الخليجي.. غير قابل للفرقة والتشتت، لأنه سيكون حينئذ وضعاً غير طبيعي وغير متسق مع طبيعة أهل الخليج.